COPYRIGHT© INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

فاعلية لغة الحوار القرآني من المنظور التداولي في المتلقين الماليزيين المتخصصين في الدراسات القرآنية: دراسة وصفية تحليلية

إعداد

أحمد مجدي بن مت صالح

بحث متطلب مقدم لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث

قسم اللغة العربية وآدابها
كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلاميّة العالميّة–ماليزيا

أبريل ٢٠١٦م

ملخص البحث

يتناول هذا البحث لغة الحوار القرآني من المنظور التداولي وفاعليتها في المتلقين الماليزيين. اتخذ هذا البحث شقين من الدراسة؛ الدراسة الوصفية التحليلية، والدراسة الميدانية. استهدفت الدراسة الوصفية التحليلية استخراج خصائص الحوار القرآني وسماتها البيانية، واستنباط الخصائص التداولية للحوارات القرآنية، ثم توظيف العناصر التداولية الأربعة؛ الإشارية، والافتراض السابق، والاستلزام الحواري، ونظرية الأفعال الكلامية في تحليل نماذج من الحوارات القرآنية. أما الدراسة الميدانية فاستهدفت دراسة فاعلية لغة الحوار القرآني في فئة المتلقين الماليزيين المتخصصين في الدراسات القرآنية. لقد استخدم الباحث برنامج الحزمة الإحصائية في العلوم الاجتماعية SPSS العدد (20.0) للبحث عن نوعية شيوع الآثار ونسبها المئوية، ووظّف معامل ارتباط بيرسون للبحث عن علاقة الارتباط بين البيانات عادية التوزيع، والآخر معامل ارتباط سبيرمانس رهو للبيانات غير عادية التوزيع. وتوصلت الدراسة إلى بعض النتائج القيمة، وفي مقدمتها أن الدراسة قد برهنت على فاعلية المقاربة التداولية في رفع مستوى فهم المتلقين واستيعابهم للحوار القرآني. لذا أوصت بضرورة غرس أنماط التفكير التداولي لدى المتلقين خاصة الطلبة المتخصصين في الدراسات القرآنية وسيلةً لرفع كفاءتهم للتعامل مع القرآن الكريم. واقترحت في النهاية نحو تطوير الدراسة الميدانية وفق المنهج التقابلي لمعرفة مدى تحقيق افتراضية وجود قيم متباينة بين فئة العينات السابقة وفئة مقابلة من المتلقين الماليزيين المتخصصين في اللغة العربية.

ABSTRACT

This research deals with the language of Qur'anic dialogues from the pragmatic view and their effectiveness on Malaysian readers specializing in Quranic studies. This research has taken a multi-approach; a descriptive analytical study and a field study. The descriptive analytical study aimed to extract characteristics of the Qur'anic dialogues, as well as their pragmatic features, then employed the four pragmatic elements: deixis, presupposition, conversational implicature and speech act theory in analyzing samples of Qur'anic dialogues. The field study aimed to study the effectiveness of Qur'anic dialogues on Malaysian specialists in Qur'anic studies from the pragmatic view. Data were analyzed by using SPSS version 20.0, and Pearson's Correlation Coefficient was used in measuring the strength of association between parametric data. Besides, Spearman's Correlation Coefficient was also employed for non-parametric data. The study concludes with some valuable findings, and at the forefront of it all, the study has demonstrated the effectiveness of the pragmatic approach in raising the level of readers' understanding and comprehension of Qur'anic dialogues. Therefore, it is recommended that this approach should be taught to students who are specializing in Qur'anic studies and then, adopted by them in order to strenghten their capability in analyzing Qur'anic dialogues. Furthermore, it is suggested that an advance study should be conducted using a comparative method to investigate a hypothesis which states that there are significant differences between the previous group and the group of Malaysian readers specializing in Arabic language regarding their pragmatical efficiency in dealing with Qur'anic dialogues.

APPROVAL PAGE

The dissertation of Ahmad Majdi Bin Mat Salleh has been approved by the following:

_____
Muhamadul Bakir Yaakub
Supervisor

_____
Akmal Khuzairy Abd Rahman
Internal Examiner

_____
Ahmad Shehu Abdussalam
External Examiner

_____
Muhammad Fauzi Jumingan
External Examiner

_____
Mohd. Feham Md. Ghalib
Chairman

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that is has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Ahmad Majdi Bin Mat Salleh

Signature: ……..……..…… Date: …...…….

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٦م محفوظة لـ: أحمد مجدي بن مت صالح

فاعلية لغة الحوار القرآني من المنظور التداولي في المتلقين الماليزيين المتخصصين في الدراسات القرآنية: دراسة وصفية تحليلية

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٢- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.

٣- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

٤- سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغير العنوان.

٥- سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبين به.

أكد هذا الإقرار: أحمد مجدي بن مت صالح

التوقيع:..... التاريخ: .....

أهدي هذا الجهد ...

إلى الوالدين العزيزين؛ مت صالح بن محمد نور، ورملة بنت جعفر تقديرا لحبهما وامتنانهما الدائمين.

إلى زوجتي الحبيبة؛ روحاني بيت أحمد تقديرا لتضحيتها ماديةً ومعنويةً.

إلى أبنائي الأحباء؛ نيل نجحان، وكيل عدلان، وسيف رشدان قدوةً وتشجيعاً لهم في جهادهم وكفاحهم في طلب العلم.

أحمد مجدي بن مت صالح

الشكر والتقدير

أحمد الله تبارك وتعالى وأشكره على جزيل إنعامه وعظيم امتنانه، وأصلي وأسلم على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد منّ الله علي بإتمام هذا البحث المتواضع، فمهّد له سبلا وأسبابا، وجنّد له رجالا ومؤسسات وجهات، وفي مقدمتهم؛

- المشرف الدكتور محمد الباقر حاج يعقوب الذي أفادني من توجيهات قيمة وإرشادات وجيهة في إعداد هذا البحث وإنجازه بهذه الصورة.
- الأساتذة الممتحنون؛ الأستاذ الدكتور أحمد شيخ عبد السلام، والدكتور محمد فوزي بن جوميعن، والدكتور أكمل خزيري بن عبد الرحمن الذين أنصفوا في التقييم وإبداء الملاحظات البناءة.
- أعضاء التدريس في قسم اللغة العربية وآدابها الذين قد بذلوا جهودا في التدريس والإشراف.
- الجامعة الإسلامية العالمية –ماليزيا ممثلة في مديرتها الفاضلة الأساذة الدكتورة داتوء سري زاليها بنت قمرالدين، ومكتباتها، وكلياتها، وخاصة كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية ومركز الدراسات العليا التي قد هيأت لي بيئة العلم والأدب وقدمت لي من تسهيلات.
- جامعة السلطان إدريس التربوية جاصة كلية اللغات و الاتصال التي قد منحتْني فرصة لمواصلة الدراسة وبعثتني إلى روضة العلم والعرفان.
- الجهات المعنية في جمع بيانات البحث المتمثلة في قسم القرآن من كلية معارف الوحي بالجامعة الإسلامية العالمية–ماليزيا، ومن دار القرآن – جاكيم، ومن كلية العلوم الإنسانية بجامعة السلطان إدريس التربوية؛ الإدارة، والمحاضرون، وطلبة السنة الأخيرة في قسم القرآن.
- وكل من آزرني بالقول والعمل لإنجاز هذا البحث.

أقدم لكم أجمل آيات الشكر والتقدير، فجزاكم الله عني خير الجزاء.

فهرس محتويات البحث

ملخص البحث ..... ب

ملخص البحث بالإنجليزية ..... ج

صفحة القبول ..... د

صفحة التصريح ..... هـ

صفحة الإقرار بحقوق الطبع ..... و

الإهداء ..... ز

الشكر والتقدير ..... ح

الفصل الأول: مقدمة البحث

تمهيد ١

مشكلة البحث ٣

أسئلة البحث ٦

أهداف البحث ٧

أهمية البحث ٨

حدود البحث وأدواته ٨

منهجية البحث ١٠

الدراسات السابقة ١٣

الفصل الثاني: لغة الحوار في القرآن الكريم

تمهيد ٢٤

المبحث الأول: الحوار في العملية التواصلية..... ٢٤

المطلب الأول: مفهوم الحوار..... ٢٤

المطلب الثاني: فلسفة الحوار ٢٨
المطلب الثالث: مبادئ الحوار..... ٣٥
المطلب الرابع: أهمية الحوار ٤٢
المبحث الثاني: عملية الحوار؛ مكوناته – أساليبه – أنواعه ٤٦
المطلب الأول: مكونات الحوار ٤٦
المطلب الثاني: أساليب الحوار ٤٩
المطلب الثالث: أنواع الحوار ٥٠
المبحث الثالث: الحوار في القرآن ٥٧
المطلب الأول: مكانة الحوار القرآني وأهميته ٥٨
المطلب الثاني: خصائص لغة الحوار القرآني وسماتها ٦٤
المطلب الثالث: أساليب الحوار القرآني ٧٢
المطلب الرابع: أنواع الحوار القرآني ٧٦
أولا: الحوار القرآني من حيث الشكل ٧٦
ثانيا: الحوار القرآني من حيث المضمون ٨٠
الخلاصة ٨٩

الفصل الثالث: الخصائص التداولية للحوارات القرآنية

تمهيد ٩٠
المبحث الأول: مفهوم التداولية ٩٠
المبحث الثاني: جذور التداولية في التراث العربي ٩٣
المطلب الأول: جذور التداولية عند اللغويين ٩٤
المطلب الثاني: جذور التداولية عند المفسرين وعلماء القرآن والحديث ١٠٦
المطلب الثالث: جذور التداولية عند الفقهاء والأصوليين ١٠٩
المبحث الثالث: التداولية في اللسانيات الحديثة ١١٦
المطلب الأول: نشأة التداولية وتطورها ١١٦

أولا: أرهاصات المنهج التداولي ١١٧
ثانيا: مرحلة الاكتمال والنضج ١١٩
المطلب الثاني: مجالات الدراسات التداولية ١٢٦
المطلب الثالث: الفروق بين علم الدلالة والتداولية وعلم التأويل ١٣٠
المبحث الرابع: عناصر التحليل التداولي وأثرها في حدث كلامي ١٣٥
المطلب الأول: الإشارية ١٣٥
المطلب الثاني: الافتراض السابق ١٤١
المطلب الثالث: الاستلزام الحواري ١٤٣
المطلب الرابع: نظرية الأفعال الكلامية ١٤٦
المبحث الخامس: عناصر التحليل التداولي في لغة الحوار القرآني ١٥٥
المطلب الأول: الإشارية في التحليل التداولي للحوار القرآني ١٥٥
المطلب الثاني: الافتراض السابق في التحليل التداولي للحوار القرآني ١٦٢
المطلب الثالث: الاستلزام الحواري ونظرية الأفعال الكلامية في التحليل
التداولي للحوار القرآني ١٦٨
الخلاصة ١٧٨

الفصل الرابع: فاعلية الحوار القرآني في المتلقين الماليزيين

تمهيد ١٧٩
المبحث الأول: إجراءات البحث الميداني ١٧٩
المبحث الثاني: التحليل الإحصائي للبيانات ١٨١
المطلب الأول: نتائج تحليل بيانات الاستبانة ١٨١
المطلب الثاني: نتائج التحليل لبيانات المقابلة ١٨٦
المبحث الثالث: مناقشة نتائج التحليل ١٩٠
الخلاصة ١٩٧

الفصل الخامس: الخاتمة

أولا: نتائج البحث ١٩٨
ثانيا: التوصيات ٢٠١

قائمة المصادر والمراجع ٢٠٤

الملاحق

ملحق رقم (١) قائمة الآيات القرآنية ٢١٦
ملحق رقم (٢) جداول بيانات البحث الميداني والنتائج ٢٢٤
ملحق رقم (٣) المصدقة على مقبولية الاستبانة وصحتها ٢٣٥
ملحق رقم (٤) النسخة العربية للاستبانة ٢٣٦
ملحق رقم (٥) النسخة الملايوية للاستبانة ٢٤٢
ملحق رقم (٦) رسالة طلب الإذن لإجراء البحث الميداني ٢٤٧
ملحق رقم (٧) رسالة طلب الإذن لإجراء البحث الميداني على المحاضرين
والطلبة في دار القرآن-جاكيم ٢٤٨
ملحق رقم (٨) رسالة قبول من دار القرآن-جاكيم ٢٤٩
ملحق رقم (٩) ملفات **SPSS** لنتائج لتحليل البيانيات ٢٥٠

الفصل الأول: مدخل إلى البحث

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فالقرآن الكريم مصدر الهداية الإلهية، عبّر عنها عزّ وجلّ بطرق متعددة وأساليب بيانية متنوعة، والأسلوب القصصي أحد الأساليب البارزة فيه. من خلال السرد القصصي عرض القرآن الكريم تلك الحوارات الحية الدائرة بين شخوص القصص، حيث أخبر الله عزّ وجلّ من خلالها عن الحوادث الواقعة عبر التاريخ البشري، وصوّرها بين أيدينا بلسان عربي مبين، حتى أصبحنا ندرك يقيناً تلك المشاهد الماضية دون أي إضافة أو حذف أو تحريف. إن هذه الحوارات التي تتسم بالأصالة والتي تكمن في طياتها عِبر وحِكم جديرة بالدراسة والتحليل.

وثمة نقطة أخرى جديرة بالذكر ألا وهي أن القِصة القرآنية مختلفة عن أنواع القِصص الأُخرى المنتمية إلى النتاج الأدبي الإنساني، ذلك لأن أبطال القصص ولاعبيها في الأعمال الأدبية تتأثر بشخصية صاحب تلك الأعمال وتعكس رؤيته وفكرته، ذلك لأننا لا نستطيع أن نحرّر النتاج الأدبي من توجهات الأديب، فالأديب ينسج أعماله الأدبية بناءً على خبراته وما علّمته الحياة. لذلك، فإن تلك الحوارات التي وضعها الأديب على ألسنة لاعبي القصة لا تنفك عن نفسيته وفكره. وهذا هو شأن النتاج الأدبي والأعمال البشرية على الإطلاق، وأما القرآن الكريم – وهو المصدر الإلهي – فشأنه مختلف؛ فإنه كلام الله المتصف بالكمال المطلق، عندما يعرض قصة من قصص القرآن، ويذكر المشاهد والحوارات فيها، فإنما ينقلها كما هي، بلا زيادة فيها ولا نقصان، وعندما يبحث الباحث عن تلك الحوارات ويمعن النظر فيها، تتجلى أمامه شخصيات قائليها، فتبارك الله تعالى أحسن القائلين.

وإذا آمنّا بأن القصص القرآني واقع في مطويات التاريخ البشري، والحوارات الواردة فيها أيضا واقعةٌ جعلها الله بين أيدينا في القرآن الكريم، وأن هذه القِصص القرآنية تحتوي على كم هائل من الحكَم والإرشادات الربانية، فإنها جديرة بالبحث وإمعان النظر فيها للوصول إلى تلك الذخيرة الربانية. عسى أن تكون هذه المحاولة زاداً لمتلقي القرآن في فهم الرسالة التي تضمنتها تلك القصص وتدبرها، ولاسيما تلك التي تكمن تحت السطور. فصدق الله عز وجل

إذ يقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1]

والتداولية من أحدث فروع اللغويات التي تستحق الاهتمام به، ظهرت في منتصف القرن العشرين الميلادي على يد منظِّرها الفيلسوف أوستين (J. L. Austin) (١٩١١-١٩٦٠م) الذي يرى أن الكلام يولِّد طاقةً قادرةً على إحداث آثار مثل الأفعال البشرية الأخرى[2]. وهذه المقاربة تتعامل مع اللغة بوصفها أداةً للاتصال، ويهتم بمستعمليها سواء أكانوا متكلمين أم مخاطبين أم متلقين، فضلا عن اهتمامه بالمقام الذي يجري فيه الحوار. وبتعبير آخر، إن التداولية هي علم يبحث عن نوايا المتكلمين وتحلِّل قدرة المخاطبين على فهم تلك النوايا، وتلاحظ الآثار التي أحدثتها تلك المقولات الحوارية.

ومن وجهة نظر الباحث فإن توظيف التداولية لمعالجة الحوارات الواردة في القرآن الكريم عملية فريدة ومحاولة شاقة تتطلب جهودا كبيرة؛ لأن هذه المقاربة، في أغلب الأحيان، تتعامل مع الحوارات الحية المتداولة في الزمن الحاضر، على سبيل المثال الكلام المتداول بين مرضى الفصام فيما بينهم، والحوارات الجارية على ألسنة التلاميذ المرضى بـ"ملازمة داون"، وخطابات الرجال السياسية، وما إلى ذلك من الكلام الواقع في حاضر الحياة البشرية، بخلاف هذا العمل الذي بصدده الباحث، الذي يحاول أن يوظف تلك المقاربة على الحوارات الحية المدوَّنة في إحدى مطويات التاريخ الموثوقة بثبوتها ودقة نقلها، ألا وهي حوارات القرآن الكريم؛ وهي محاولة شاقة تتطلب جهودا كبيرة، لأنها تتعلق بالوحي، فالله عز وجل لا يعرض القصص والحوارات الجارية فيها عبثا، بل لما فيها من عبَر وحِكَم. فالباحث أمام النصوص المقدسة المفعمة بالمعاني الجليلة، عليه أن يتعامل معها بكل قدسية واحترام، فلا يليق به أن يقدم لها تحليلات واهية متعسفة، بل لا بد له من إمعان النظر والمصابرة والاجتهاد، آخذا في الاعتبار أجواء السور والمناسبات، مستعينا بآراء العلماء والمفسرين قبل أن يقطع بالرأي أو يرجحه.

وبما أن التداولية تهتم بالآثار التي أحدثها الكلام فيرى الباحث أنه من المستحسن أن تُدخَل في نطاق البحث الفئة الثالثة التي لا تشارك في تلك الحوارات مباشرة، لكنها تعتني بها وتتعامل معها في حياتها، وهي فئة المتلقين المسلمين، إذ للحوارات القرآنية آثارها الملحوظة

---

[1] سورة يوسف: الآية ١١١.

[2] Jacob, L. Mey. (1993). **Pragmatics: An Introduction.** U.S.A: Blackwell Publishers Inc. p.23.

على هؤلاء المتلقين، وهي متوقّفة على مدى فهمهم لتلك الحوارات واستيعابهم إياها. وعلى هذا الأساس، يجري الباحث دراسةً ميدانيةً في واقع المجتمع الماليزي، يستقري عبرها البيانات عن مدى فهم جماعة مخصوصة من المتلقين الماليزيين لتلك النصوص، خاصةً فئة المدرسين الذين يدرِّسون مادة القرآن والتفسير في المدارس والجامعات ورجال الدعوة الذين لهم نفوذ ملحوظ بين عامة الناس، فضلا عن فئة الطلبة المتخصصين في الدراسات القرآنية.

مشكلة البحث

من المفيد أن نذكر ابتداءً أن القرآن الكريم حافل بالحوارات المتنوعة أساليبها، والمتعددة سياقاتها، وهذا التنوع والتعدد يؤديان بالضرورة إلى تعدد تفاسيرها ووجهات الفهم فيها. وعلى الرغم من وضوح تلك الحوارات في القرآن الكريم وبيانها الساطع للناظرين، فإنها لا تخلو من إشكالات في تحديد الروابط المعنوية التي تربط بين عناصر الحوار، وهذه الإشكالات بطبيعتها تؤدي إلى تساؤلات كثيرة، منها ما يعود إلى الظواهر اللغوية، وأخرى إلى الظواهر الاجتماعية والنفسية والثقافية وغيرها، وهذه التساؤلات لا تتشكل من فراغ ولا تخلو من أسباب، فمنها ما ينتج من اختلاف الأساليب التعبيرية، أو من تباين خلفيات المفسرين سواء أكانت لغوية أم ثقافية أم نفسية أم اجتماعية أثناء تعاملهم مع تلك الحوارات، حيث تجلت تلك الإشكالات في تعدد التفسيرات، وتباين الآراء لحدث حواري واحد، وتعدد الدلالات للألفاظ والعبارات المعينة، واختلاف في تفسير نوايا المتحاورين ومواقفهم، وما إلى ذلك من الغموض.

وعلى سبيل المثال، اختلف القراء والمفسرون في فهم الحوار القرآني الذي دار بين الله تعالى والملائكة حول استخلاف الإنسان في الأرض، حيث قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]

لقد اختلف المفسرون في تحديد قصد الملائكة من هذا السؤال؛ هل هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في استخلاف آدم –عليه السلام– خاصةً والإنسان عامةً

[1] سورة البقرة: الآية ٣٠

في الأرض[١]، أم سؤال على وجه الاعتراض[٢]، أم على وجه الحسد على بني آدم[٣]، أم سؤال على وجه التعجب أو الاستغراب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها،[٤] أم استفهام محض حُذف فيه المعادل أي : أتجعل فيها من يفسد أم تجعل من لا يفسد؟[٥]. لقد ساق الألوسي معظم هذه الاحتمالات في تفسيره للآية بدون أي ترجيح أو اختيار.

على الرغم من ذلك، نستطيع أن نفهم موقف الملائكة في هذا الحوار من خلال التحليل التداولي مبتدئاً من البحث عن المؤثِّر أو الدافع الذي قد دفعهم إلى توجيه هذا السؤال إلى الله تعالى، وكان الدافع المقصود متضمنا في قول الله تعالى ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ وهو عبارة عن إعلام الله تعالى للملائكة تعظيما للأمر وهو استخلاف الأرض واستعمارها أوّلاً، وتكريما للمستخلَف فيها وهو الإنسان ثانياً. واستبعدنا رأي المفسرين الذين قالوا بأن قول الله تعالى في هذا المقام للملائكة شبيه بالمشاورة، تعليما للمسلمين كي يكون أمرهم شورى بينهم[٦]، ذلك لأن الله العليم الخبير قد قطع بالأمر، فلم يفتح لهم مجالا للرد والقبول.

وانطلاقا من هذا الفهم، استبعدنا كذلك أن يكون سؤال الملائكة عقب إعلام الله بأمر الاستخلاف سؤالاً على وجه الاعتراض، واستبعدنا كذلك كونه على وجه الحسد لأنهم عباد الله المطهّرون المنزّهون عن الرذائل، واستبعدنا كذلك كونه استفهاما محضا لأن الأخذ به يلزمنا بتقدير المعادل له مما أدى إلى ركاكة الأسلوب، ومن خلال سياق السؤال نفسه استبعدنا كذلك كونه مجرد سؤال استعلام عن الحكمة في الاستخلاف لأن الله العليم الخبير لم ينبئهم بحكمة الإستخلاف جوابا لسؤالهم هذا، بل قال تعالى ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾، فهو جواب ملائم لسؤال على وجه التعجب أو الاستغراب، لذلك اختار الباحث هذا الوجه

---

[١] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. (١٩٩٩م). **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق سامي بن محمد سلامة. القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ج١، ص٢١٦.

[٢] ذكره ابن كثير في تفسيره، ونسبه إلى بعض المفسرين بشكل عام، المرجع نفسه، ج١، ص٢١٦.

[٣] المرجع نفسه، ج١، ٢١٦.

[٤] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (د.ت.). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. بيروت: دار إحياء التراث، ج١، ص٢٥٧.

[٥] الألوسي، المرجع نفسه، ج١، ص٢٥٧.

[٦] منهم الألوسي، انظر المرجع نفسه، ص٢٢١.

ورجحه بين الاحتمالات الأخرى بناءً على التحليل التداولي للحوار الذي ينظر في الأحداث الحوارية من منظور شامل متكامل؛ ينظر في قائليها والظروف المحيطة بهم زمانا ومكانا، وإلى المعاني التي تحملها الألفاظ، ونوايا أصحابها، وآثار تلك الحوارات في المخاطبين، وما إلى ذلك من التفاصيل التي تساعدنا في فهم تلك الأحداث التواصلية بشكل واضح ودقيق.

ومن هنا جاءت أهمية التفكير التداولي في معالجة النصوص الحوارية ولحسم الخلافات وتباين الفهم والاستيعاب بين المتلقين لتلك النصوص. على الرغم من تلك الأهمية، يرى الباحث أن المفسرين والعلماء في الدراسات القرآنية تشكل عام لم يولّواه أحسن التولية أثناء تعاملهم مع القرآن. والدليل على ذلك، لم يعدوا الخلل في التفكير التداولي من الأسباب التي تؤدي إلى الخلاف في تفسير الآيات القرآنية، بل جل تلك الأسباب التي ذكروها هي الأسباب في المستوى التركيبي والدلالي، وعلى مقدمتها الخلاف في عودة الضمير، واختلاف بسبب الاشتراك اللفظي، في حمل اللفظ على الحقيقة أو المجاز، وفي العموم والخصوص، وفي تحديد دلالة حروف المعاني، وغيرها[1]. ولكن من اللافت للأنظار، هناك أسباب أخرى في المستوى الاستعمالي للغة لها مساهمة بارزة في تباين الفهم والاستيعاب، منها اختلاف في استدراك المعاني المستلزمة للحوار، وتباين في استنباط الافتراضات السابقة واستغلالها في السياق، واختلاف في تحديد المرجعية للألفاظ الإشارية في العالم الواقعي الخارجي، واختلاف في ملاحظة المعاني غير المباشرة، وكل هذه الأسباب هي أسباب تداولية لا غنى عن الاستفادة منها في التعامل مع القرآن الكريم.

علماً بأهمية المنظور التداولي عند المتلقين في التعامل مع لغة الحوار القرآني، يفترض الباحث أن معرفتهم بالتفكير التداولي وإلمامهم بعناصر التحليل التداولي لها فاعلية في رفع المستوى الإدراكي لديهم. ومن الوسائل الفعالة للبرهنة على صحة هذه الفرضية هي دراسة ميدانية للبحث عن مدى ارتباط بين مستوى التفكير التداولي ومستوى الفهم والاستيعاب لدى فئة من المتلقين ذات صلة خاصة بالقرآن الكريم وهم المتخصصون في الدراسات القرآنية. ويتمنى الباحث في الآخير أن تساهم نتائج هذه الدراسة في تطوير طرق تدريس النصوص

[1] ينظر الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (١٩٥٧م). البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج٢، ص١٦٦-١٨٠.

القرآنية ومناهج التعامل معها، أو على أقل التقدير، أن تقدم اقتراحات بناءة أو اختيارات ثرية للدراسات القرآنية.

أسئلة البحث

ومما ذكرنا أعلاه في إشكالية هذا البحث فيما يخص فهم بعض الحوارات التي وردت في القرآن الكريم، قد تتولد منها أسئلة كثيرة تتطلب من هذه الدراسة الإجابة عنها، ومن أهمها:

١. ما جذور مبادئ التداولية وأسسها في التراث العربي؟ وهل استخدم علماؤنا القدامى تلك المبادئ والأسس في دراساتهم وأبحاثهم اللغوية، خاصة في فهم القرآن الكريم وتفسيره؟
٢. لماذا تعدّدت وجهات النظر أو تنوّع الفهم في بعض الحوارات القرآنية؟ وكيف يمكن للتداولية بواسطة عناصرها الأربعة؛ الإشارية، والافتراض السابق، والاستلزام الحواري، ونظرية الأفعال الكلامية على أن تقدم تحليلا لغويا مقنعا الحوارات القرآنية المشكلة؟
٣. كيف تعامل المتلقون الماليزيون مع الحوار القرآني، وما هي الطرق المستخدمة للوصول إلى الفهم السليم لها؟ وهل ألمَّ المتلقون الماليزيون بمبادئ التداولية وعناصرها، وهل ساعدتهم تلك المبادئ والعناصر في فهم الحوارات القرآنية واستخراج مغزاها؟
٤. ما هي الأسباب التي تؤدي إلى ضعف المتلقين الماليزيين في استيعاب الحوار القرآني وفهمه؟ هل هناك علاقة الارتباط البارز بين معرفة المتلقين اللغوية ومستواهم الفهمي للحوارات القرآنية بشكل عام، وبين معرفتهم عن التداولية بكل عناصرها ومستواهم الفهمي للحوارات القرآنية بشكل خاص؟
٥. ما موقف هؤلاء المتلقين المتخصصين من أهمية هذه المقاربة ومكانتها في تحليل الحوارات القرآنية وتفسيرها؟ وما مدى صلاحية تعلم هذه المقاربة وتعليمها من ضمن المواد التي تعالج النصوص القرآنية مثل الخطاب القرآني، أو البيان القرآني، أو مناهج التفسير، أو التفسير البياني وغيرها؟

أهداف البحث

يلاحظ مما ذكرنا أعلاه، أن المنهجية تمثل نقطة الارتكاز لأي عملية في الفهم والإفهام. لهذا، يهدف هذا البحث إلى بلورة فكرة المنهجية في التعامل مع الحوارات القرآنية، والتي تنحصر في النقاط الآتية:

١. التعرف على جذور التداولية؛ مبادئها وأسسها في التراث العربي القديم، خاصة عند علماء التفسير، وتحديد أنسب الطرق للتعامل مع تلك الذخيرة في تطوير الدراسات اللغوية العربية الحديثة.

٢. البحث عن الأسباب التي تؤدي إلى تباين الفهم والاستيعاب لبعض الحوارات القرآنية، خاصة في المستوى الاستعمالي التداولي، والبرهنة على قدرة التداولية بعناصرها التحليلية الأربعة السالفة ذكرها على تقديم تحليلات لغوية مقنعة للحوار القرآني، وذلك من خلال تحليل النماذج المختارة من الحوارات القرآنية، وعملية استطلاعية ميدانية في تحقيق أهداف مرسومة.

٣. التعرف على الكيفية التي اتبعها المتلقون الماليزيون للتعامل مع الحوارات القرآنية، والطرق المستخدمة للوصول إلى الفهم السليم لها، ومعرفة مدى إلمام المتلقين الماليزيين بمبادئ التداولية وأسسها، سواء أكانت من تراثنا القديم أم من اللسانيات الحديثة، ومدى مساهمة تلك الخلفية العلمية في فهم الحوارات القرآنية واستخراج مغزاها.

٤. التعرف على الأسباب المؤدية إلى ضعف المتلقين الماليزيين في استيعاب الحوار القرآني وفهمه، والتطلع على علاقة الارتباط الموجودة بين معرفة المتلقين اللغوية العربية ومستواهم الفهمي بشكل عام، وبين معرفتهم عن التداولية بكل عناصرها ومستواهم الفهمي للحوارات القرآنية بشكل خاص.

٥. التعرف على موقف المتلقين الماليزيين من التداولية؛ أهميتها ومكانتها في تحليل الحوارات القرآنية وتفسيرها، وتبصيرهم بالمواقف والأحداث وتجليتها في سبيل فهم الحوارات الدائرة بين أشخاصها، والتعرف كذلك على مدى صلاحية هذه المقاربة التداولية لتكون من ضمن المواد التي تعالج النصوص القرآنية في قسم الدراسات القرآنية مثل مادة الخطاب القرآني، أو البيان القرآني، أو مناهج التفسير، أو ما شابه ذلك.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يتعامل مع النصوص القرآنية؛ حيث يمكن بيان مفهوم التداولية، والاستفادة منها في فهم الحوار ما دام أنها لم تخرج عن معهود العرب في فهم الخطاب العربي، ولا سيما أن المقاربة التداولية مصطلح جديد يمكننا الاستفادة من هذه الدراسة في بيانه وتحديد معالمه في قرارة الخطاب العربي.

حدود البحث وأدواته

يعالج هذا البحث بعض الحوارات التي وردت في القرآن الكريم ذات الطابع التداولي. وذلك لأن الحوارات في القرآن الكريم تعني تلك المحادثات التي جرت بين المتحاورين وتمت في سياق متلبس بالعناصر التداولية المتعددة، وهي معروضة في القرآن الكريم بكثرة مستفيضة ومترابطة، بحيث يمكن اعتبارها أسلوبا من الأساليب الاتصالية الخاصة والفريدة من نوعها، في تحقيق غاية إيصال الرسالة الإلهية، وإثبات الحق ودحض الباطل.

تحرّيا للدقة والموضوعية في التناول والتحليل، يختار الباحث الحوارات الموجودة في قصة موسى – عليه السلام – وهي أطول القصص الواردة في القرآن الكريم، وأكثرها تفصيلا، وتعددت زواياها لما في كل منها من عبر ودروس حري بها أن تتناول وتدرس. وعلى الرغم من ذلك، سوف يقتصر الباحث على الحوارات الدائرة بين موسى –عليه السلام– وفرعون وملئه الممعنين في التكبر والطغيان من جانب، وبينه وبين بني إسرائيل المستمرين ذلة وتبعية استضعافا من جانب آخر، وهي في السور وآياتها كما في الجدول (١) :

الرقم	السورة	الآيات	جانب القصة
١	البقرة	٥٤ – ٥٥، ٦١، ٦٧-٧١	أنباء مع بني إسرائيل
٢	المائدة	٢٠ — ٢٦	مع بني إسرائيل
٣	الأعراف	١٠٣ – ١٥٥	عرضت الجانبين معاً
٤	يونس	٧٦ -٨١	مع فرعون وملئه
٥	إبراهيم	٦ — ٩	مع بني إسرائيل
٦	الإسراء	١٠١ – ١٠٢	مع فرعون

٧	طه	٤٧ – ٧٦	مع فرعون وملئه
		٨٦-٩٨	مع بني إسرائيل
٨	الشعراء	١٥ – ٥١	مع فرعون وملئه
٩	القصص	٣٦ – ٣٨	مع فرعون وملئه
١٠	غافر	٢٣ – ٢٧	مع فرعون وملئه
١١	الزخرف	٤٦ – ٥٦	مع فرعون وملئه

الجدول رقم (١،١): حدود البحث المتمثلة في السور وآياتها

وسوف تكون الحوارات الموجودة في المواضيع المختارة أعلاها أنموذجا تطبيقيا لهذه الدراسة، محاولا إبراز كثرة ورود الخصائص التداولية فيها، وتنوع أشكالها، وخصوصية وظائفها التي تفسح المجال لإجراء العملية التحليلية وفق الأسس والمبادئ التي اتكأت عليها المقاربة التداولية من نظرية الأفعال الكلامية، ومبدأ التعاون، ومبدأ الاحترام، وغيرها.

وبما أن هذا البحث يتناول جانباً ميدانيّاً، سوف يعتمد الباحث في إنجازه على أداة استطلاعية لاستبانة بعض الجوانب الميدانية المتعلقة بأثر الحوارات التي وردت في القرآن الكريم على متلقيها الماليزيين، وتزويده بالبيانات الميدانية التي يمكن إحصائها إحصاءً دقيقاً، والتي تقوده إلى النتيجة التي يمكن الاعتماد عليها في فهم طبيعة الحوارات التي وردت في القرآن الكريم، وعلاقتها بالرسالة الربانية الخالدة المتصفة بالفطرية السمحة.

وسوف يقسّم الباحث المتلقين الماليزيين إلى فئتين اثنتين؛ فئة متبوئة مقاعد التبليغ والإلقاء متمثلة في رجال متخصصين في القرآن والتفسير من المحاضرين والمدرسين، ورجال الدعوة الذين لهم نفوذ بين عامة الناس، وأخرى فئة متبوئة مقاعد الدراسة والتعلم خاصة طلبة البكالوريوس المتخصصين في الدراسات القرآنية في السنة الدراسية الأخيرة. لقد تم اختيار هذين الفئتين دون غيرهما من فئات المتلقين لأنهما يتمثلان جماعة المتلقين المثاليين في المجتمع. على هذا الأساس، نستطيع أن نقيس مدى فهم المجتمع واستيعابهم للقرآن الكريم خاصة للحوارات الواردة فيها من خلال معرفة قدرة هؤلاء المتلقين المثاليين على الفهم والاستيعاب، لأنهم يؤثرون على فهم المجتمع بشكل مباشر من خلال مجالس التعليم والدعوة، وغير مباشر

من خلال مخالطتهم ومعايشتهم الدائمتين في المجتمع. والجدول الآتي يذكر لنا الأداة الاستطلاعية المعنية لكلٍ من الفئتين وعدد العينات المقترح:

أداة استطلاعية	الفئة المعنية	عدد العينات
الاستبانة	طلبة الجامعة من قسم القرآن	١٠٠
المقابلة الشخصية	المتخصصون ورجال الدعوة	٢٠

الجدول رقم (١,٢): طريقة جمع البيانات في البحث الميداني

منهجية البحث

اتخذ هذا البحث شقين من الدراسة؛ الدراسة الوصفية التحليلية، والدراسة الميدانية. في دراسته للحوارات القرآنية اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث يقوم بوصف الحوارات الموجودة في القرآن الكريم ثم تحليلها طبقاً للمنظور التداولي، وهو بالنظر إلى تلك النماذج الحوارية المختارة من خلال مستوياتها الأربعة الآتية وفقا ما جاء به ج. ل. أوستين في تقسيمته للأفعال الكلامية[1]، وهي:

١- الفعل التلفظي، وهو البنية الظاهرة لتلك الحوارات المتمثلة في إنتاج الأصوات، وترتيب تلك الأصوات وفق نظام نحوي معين.

٢- الفعل القضوي، وهو اقتضاء ملفوظات الحوار وانضمام بعضها ببعض وقف علاقة الإسناد، حتى توافقت دلالته وانسجمت مع المقام أو السياق المتمثل في الأجواء والملابسات من الزمان والمكان والأحداث المحيطة بها والمواقف المسيطرة عليها وهلم جرًّا.

٣- الفعل الإنجازي، وهو قصد المتكلم أو غرضه الذي يريد إن ينجزه عبر كلامه، والقوة الإنجازية فيه يمكن أن تكون إخبارا أو استفهاما أو أمرا أو وعدا أو تحذيرا أو غيرها.

٤- الفعل التأثيري، وهو الآثار المترتبة على الفعل الإنجازي عند المخاطَب والمتلقي، من القبول والتصديق، أو الرفض والإنكار، أو الاستعداد أو المبادرة للتنفيذ أوغيرها.

[1] Stephen C. Levinson. (1983). **Pragmatics.** U.S.A.: Cambridge University Press. pp: 236-238; George Yule. (1996). **Pragmatics**. New York: Oxford University Press. p.48.

وذلك لأن الحوارات تعد عملا لغويا في مادتها، وعملا نفسيا في مضمونها، وعملا اجتماعيا في أثرها، حيث يناقش الباحث هذا الجانب من منطلق مبادئ التداولية وعناصرها التحليلية، ومن أهمها الإشارية، والافتراض السابق، والاستلزام الحواري، ونظرية الأفعال الكلامية وما فيها من فكرة القوة الإنجازية المباشرة وغير المباشرة.

على سبيل المثال، تحلَّل الآية ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾[1] في محاورة شعيب –عليه السلام– لقومه وفق المنهجية التي رسمها الباحث كما يلي:

هذا الحوار تلفَّظه قوم شعيب ردًّا على دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وعدم التطفيف في الكيل، وعدم الظلم والإفساد. وهذا الحوار بحرفيته يتكون من استفهام بأداة وهي همزة الاستفهام، ويعقبه إخبار عن صفة شعيب – عليه السلام– مؤكدا بأداتي التوكيد؛ إنَّ و لام التوكيد.

أما الفعل القضوي فتمّ من خلال إسناد الدعوة (الصلاة) والصفتين الاثنتين (الحليم الرشيد) إلى النبي شعيب –عليه السلام–، وهو الإسناد الحقيقي، وهو منسجم بالواقع.

وإذا نظرنا إلى المعنى الصريح من الحوار في المستوى الإنجازي، ولوجدناه مكونا من قوتين إنجازيتين؛ الاستفهام، وتوكيد الخبر، ولكن، من خلال التحليل التداولي لعنصر الاستلزام الحواري توصلنا إلى قوتين إنجازيتين أخريين؛ الرفض والإنكار، والتهكم والسخرية. فالسؤال الذي يطرحه قومه هو السؤال الإنكاري، وأما الإخبار عن شعيب وتوكيده بأنه متصف بالحلم والرشد فهو متضمن معنى الاستهزاء والسخرية، وإنما أرادوا من هاتين الصفتين نقيضهما وهو السفه والغي، كما يقال للبخيل الخسيس: "لو رآك حاتم لسجد لك"[2]. وما يؤكد على هذا المعنى هو الجو العام للسرد القصصي في هذه السورة وهو ما لاقى الأنبياء قبله في دعوتهم من الرفض والإنكار والاستهزاء من قبل أقوامهم. وبالإضافة إلى ذلك، في إسناد أمره بترك عبادة الأصنام والتطفيف في المكيال والميزان إلى صلاته –عليه السلام– دون إلى المصدر الحقيقي لهذا الأمر وهو الله تعالى لونٌ من ألوان السخرية والهزؤ، كما أنك إذا رأيت معتوهاً يطالع كتباً

[1] سورة هود: الآية ٨٧

[2] انظر الرازي، فخر الدين. (١٩٨١). **مفاتيح الغيب**. بيروت: دار الفكر، ط١، ج٨، ص٤٥٦

ثم يذكر كلاماً فاسداً فيقال له: "هذا من مطالعة تلك الكتب" على سبيل الهزؤ والسخرية[1]. وهذا الاستنتاج حاصل من تحليل عنصر الافتراض السابق من مقولة القوم، إذ افترضوا، بناءً على رأيهم التافه واعتقادهم الفاسد، أن تصرفات شعيب بعيدة عن الحلم والرشد.

هكذا توصلنا إلى القوى الإنجازية غير المباشرة من خلال تحليل الحوار السابق من المنظور التداولي، وهو يدلنا على أن هذا الحوار خاصةً قولهم ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ محمول على المعنى غير المباشر، وإنما هو محمول على نقيضه على سبيل الاستهزاء والسخرية، وهذا تقضي على الاحتمالات الأخرى الموجودة حول هذه الآية، ومن تلك الاحتمالات ما ذكره الإمام الفخر الرازي في "مفاتيح الغيب" عندما فسّر الآية، فاختار الرأي الذي حمل الآية على الحقيقة، وهو قوله "أنه –عليه السلام– كان مشهورا عندهم بأنه حليم رشيد، فلما أمر بمفارقة طريقتهم، قالوا له: إنك لأنت الحليم الرشيد المعروف الطريقة في هذا الباب، فكيف تنهانا عن دين ألفيناه من آبائنا وأسلافنا، والمقصود استبعاد مثل هذا العمل ممن كان موصوفا بالحلم والرشد، وهذا الوجه أصوب الوجوه".[2]

في رأي الباحث، لقد رجّح الإمام هذا التفسير بناءً على إيمانه بضرورة الأخذ بالمعنى الصريح طالما لا يؤدي إلى فساد المعنى، فلا حاجة إلى الالتفات نحو المعنى الضمني البعيد عن الحقيقة، حتى لو استطاع ذلك المعنى الضمني أن يؤدي وظيفته التداولية بشكل أفضل وأنسب.

أما الفعل التأثيري فيتمثل في رد شعيب على هذا الإنكار والاستهزاء بتأصيل دعوته وإرجاعه إلى الله تعالى، والقول بأنه لا يريد إلا الإصلاح ما استطاع، وما توفيقه إلا بالله، عليه توكل وإليه أناب، وهو بمثابة الإعلان باستمرارية هذه الدعوة وعدم القنوط واليأس أمام هذا الإعراض.

في الدراسة الوصفية للغة الحوار القرآني عمد الباحث إلى توطئة بحثه بذكر أمور تمهيدية تتعلق بفلسفة الحوار ومبادئه وأهميته بشكل عام ومباحث تتعلق بلغة الحوار القرآني بشكل خاص من خصائصها البيانية والتداولية وأقسام الحوار القرآني من حيث الشكل والمضمون.

---

[1] انظر **مفاتيح الغيب**، المرجع السابق، ج٨، ٤٥٨.

[2] **مفاتيح الغيب**، المرجع نفسه، ص٤٥٦.